اخبار وافكار

بدائع الصنائع
والمرأة المسلمة في العصور المتقدمة

تكلمنا في الجزء العاشر من المجلد الخامس على كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وبينا فضل الكتاب وماله من المكانة عند المشتغلين بفقه الامام الاعظم فأحببنا ان نتحف قراء المجلة بترجمة المؤلف وترجمة استاذه وبنت استاذه زوجته فاطمة الفاضلة فانها انموذج مما كانت عليه الامة الاسلامية من العناية بتربية النساء

قال الفاضل محمد عبد الحي الكنوي الهندي في طبقاته المسماة بالفوائد البهية في تراجم الحنفية في صفحة ١٥٨ : محمد بن احمد بن ابي احمد ابو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء استاذ صاحب البدائع شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقه على ابي المعين ميمون النكولي، على صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين ابي بكر صاحب البدائع وكانت تفقهت على ابيها (وحفظت تحفته) وكانت زوجها يمحلي[1] فتورد الى الصواب وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط ابيها فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط ابيها وخط زوجها اه

وقال في الكتاب الموسوم بمدينة العلوم (وهو من البقية الباقية من نفائس مخطوطات مكتبة المدرسة العثمانية بحلب) وهذا (اي من كتب الحنفية) كتاب التحفة للشيخ الامام محمد بن احمد بن ابي احمد الامام علاء الدين السمرقندي وهو الذي تزوج الكاساني ابنته فاطمة وشرح تحفته وفاطمة هذه كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً وربما ترد فتوى زوجها الكاساني ويرجع هو الى قولها وكانت الفتوى اولاً تخرج وعليها خطها وخط ابيها السمرقندي ثم كانت تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني وكانت في يدي فاطمة سوار ان (باعتهما) وعملت باثمن الفطور كل ليلة بالحلاوى واستمر ذلك الى اليوم ولهذا سميت تلك المدرسة بالحلاوية اه (لم يزل هذا اسمها وهي من آثار نور الدين الشهيد عمرها سنة ٥٤٤)

وقال في الفوائد البهية ايضاً في صفحة ٥٣ : ابو بكر بن مسعود بن احمد علاء الدين

ملك العلماء الكاساني صاحب البدائع شرح تحفة الفقهاء لجده العلاء عن علاء الدين محمد السمرقندي صاحب التحفة عن صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وعن ابي الحسين القدوري وعن محمد الائمة السرخسي وله كتاب السلطان المبين في أصول الدين وتفقه عليه ابنه محمود واحمد بن محمود الحرزوي صاحب المقدمة الحرزية مات في عاشر رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ودفن بظاهر حلب عند قبر زوجته فاطمة ابنة صاحب التحفة الفقيهة العالمة والدته عند قبرهما مشتهر قال الجليع قال علي الفارسي له مصنف البدائع الكتاب الجليل والسلطان المبين قيل وفيه التحفة في العقد ومن شعره

سبقت العالمين الى المعالي ... بعضب فكرة وعلو همه
ولاح بحكمي نور الصدق لي ... ليال بالكمال متممه
يريد الجاهلون ليطفؤه ... ويأبى الله الا ان يتمه

ونقله علي محمد بن احمد السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه وزوجه ابنته فاطمة وقيل ان سبب تزويجها انها كانت من حسان النساء وكانت حفظت التحفة لابيها وطلبها جماعة من ملوك بلاد الروم ولما صنف صاحب الترجمة البدائع وعرضه على شيخه ازداد به فرحاً وزوجه ابنته وحمل مهرها له ذلك فاخرج سيفه وضربه شرح تحفته وتزوج ابنته ووصل صاحب البدائع رسولاً من ملك بلاد الروم الى نور الدين محمود بحلب وكان قبل ذلك قدم ارض السرخسي صاحب المبسوط الى حلب فولاه نور الدين الخلاوية واحسن جواره فولاه نور الدين الخلاوية فتلقاه القبول بالقبول . وقال ابن العديم حضت ضياء الدين الخطيبي قال حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابراهيم حتى بلغ قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) خرجت روحه ودفن عند زوجته داخل مقام الخليل بظاهر حلب والصواب عند قبريهما مستجاب ويعرف عند الزوار في حلب بقبر المرأة وزوجها الاهي فلك ان الاشعار التي نسبت اليه وتداولها حسن جلبي في جوابي التلويح الى الحكيم عمر الخيام والله اعلم . ونسبته الى الكاساني بالكاف ثم الالف ثم السين المهملة ثم الالف ثم النون المثناة من تحت وراء الناس ذكره السمعاني وقد يقال فيه بسين الكاشاني بالمعجمة بدل المهملة وفي مثلثه النسبة للذي لا يكبر بتركستان صنف مصنفات نافعة وتفوق كاسان وكانت من محاسن الدنيا خربت لابتلاء الترك عليها وهذا العلامة علاء الدين الكاساني من ائمة الحنفية بالشام اصله حلب الشهباء ايام الملك نور الدين الشهيد

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار في اوائل باب الطهارة ما نصه : هذا الكتاب (اي البدائع) جليل الشأن لم ار له نظيراً في كتبنا اه

وقد اكثر العلامة المذكور في حاشيته من النقل عنه والمتتبع لما يرى انه حيثما يأتي بالنقل عنه يكون قد آذن بالاتيان بما فيه فصل الخطاب في المسائل المختلف فيها .

فكتاب يلقب المؤرخون صاحبه بملك العلماء ويشهد فيه العلامة ابن عابدين هذه الشهادة ويكون عمدته في حاشيته التي عليها المعول في عصرنا هذا يدل دلالة واضحة على عظم فضل مؤلفه وجلالة قدره وغزارة مادته ومع هذا الفضل والعلم الزاخر كانت زوجته فاطمة ربما ردت فتواه ورجع هو الى قولها ولا ريب انها لم تقدم على ذلك الا حينما آنست من نفسها انها ضاهته في العلم وبلغت مبلغه في الفضل

وحسبنا هذا دليلاً على ما وصلت اليه المرأة المسلمة من الرقي في تلك العصور وقايس ايها القارئ بين امثال هذه الفاضلة وبين المرأة المسلمة في عصرنا هذا وقل لي رعاك الله هل يوجد اليوم في مشارق الارض ومغاربها امرأة مسلمة حازت من العلم هذه الدرجة وقل لهؤلاء العلماء القائلين بتحريم تعليم المرأة الكتابة اذا كان صاحب التحفة السمرقندي الذي هذب ابنته فاطمة وعلمها ما علمها جاهلاً بالحكم الذي يعلمه هؤلاء .

فهل لنا ان نأخذ من ترجمة هذه الفاضلة درس عظة يوقظنا من سباتنا ويبعثنا من اجداث خمولنا ويرشدنا الى النهوض الى تعليم بناتنا واجباتهم الدينية وحوائجهم المدنيوية لنحيى في الدنيا حياة طيبة ونعيش في الآخرة عيشة راضية .

حلب محمد راغب طباع

(تنبيه) علم مما تقدم ان بدائع الصنائع هو شرح تحفة الفقهاء لكن المتتبع للكتاب لا يرى فيه المتن البتة وذلك لانه شرح على طريقة المتقدمين اي انه اتى الى كل بحث من ابحاث التحفة فوسع دائرته وجعله فصلاً ومزج المتن مع الشرح مزجاً لا يمكن التفرقة بينهما الا لمن يرى التحفة على حدتها فالكتاب عبارة عن فصول متتابعة

تجدد ايطاليا

كتب احدهم في المجلة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها ما خلاصته : كانت ايطاليا جانباً من جبال الالب ينزل على ايطاليا ينبوع من الخصب والمال وبينا تجد الصرب متحكماً في ميزانيات المانيا والكتراو فرنسا ترى ميزانية ايطاليا يزيد دخلها على خرجها فزادت تجارة ايطاليا الخارجية منذ اواخر القرن التاسع عشر بقوة عجيبة لم تضاهها به التجارة الالمانية ولا

تجارة الولايات المتحدة: بلغت تجارة اميركا سنة ١٨٥٠ في المئة والمانيا ٨٤ وفرنسا ٥٠ وانكلترا ٤٠ اما ايطاليا فقد زادت ٩٢ في المئة . ومدينة ميلان معهد المتقدمين من الطليان كما ان معهد دعاة الاشتراكية القسيسين وكثيرهم يراعون النظام في حركاتهم ومطالبهم وما قط اضربوا دفعة واحدة او اعتصبوا دفعة واحدة فالاكثر اكيون على حراثيم والطليان كذلك ويكفي ان مدينتي تورين وميلان قد اقتسمتا على صنع السيارات (الاتوموبيل) قبل فرنسا وبريطانيا واحدة حائلة

وبعد ان ايطاليا مجتمعة برمتها كما هي مجتمعة بالاعمال والواردات وتعدل ثروتها اكثر من المانيا في كل كيلومتر من بلادها ١١٧ مساكناً على حين لا يوجد في كل كيلومتر من المانيا سوى ١٧٤ الخاص مع يتسب الاجانيون نفوس الشعب الايطالي المتزايد لاعتياد الكثير في الارياف فقد تجد فيروساً في الخامسة عشرة من عمرها وأمّاً في السادسة عشرة في كل حقارة لسوء في البلاد ويغلب على العامل الايطالي القناعة والعمل والاقتصاد وهو مولع بحب الأسرة فاذا ابتعد عنها قالما يعتمد ليكون عوناً لها ولا يغادر الباخر الايطالي ميناء الا ويوجد ميناء وهو ابداً يحن الى العودة اليه

العامل الايطالي مثال الشجاعة والوفير والصبر أعد من الاحرة فابوت من منه العامل الانكليزي وتراه مع ذلك يدخر من اجره جانباً في صندوق التوفير فتوان احرة اليد العاملة في ايطاليا رخيصة وكل التوفير فيها قليل فكثار لا تجد في تلك البلاد الخصبة قمحاً مجرباً وليست ميناء جين دون مرسيليا تجارياً اذا كانت مرسيليا تتوفر ساعات على الصانع تنقل منها الى توفان جين بصرف مع ذلك اجرة ايطاليا فقد وقف فيها سنة ١٩٠١ — ١٩٠٣ الف سفينة في حين وقف في مارسيليا ١٢٧ الفاً وكان خط جين سبعة ملايين طن من البضائع وخط مارسيليا ثلاثة واقتصاب العدة هو وقوف كما هو مألوف في مارسيليا لان العمال يعرفون ان مصلحتهم مرتبطة بمصالحة معلمهم والذي يحاول ربهم هكل الكل يتم بالعكس

قال واحد اوكست ايطاليا ان ثورت مرتين وما لاحقه من الشدائد لا يخلو من عبرة فقد مات فيها الاف عند ما دخلها رائد التمدن وعمدا آخرة اعلى ادارة وذلك لانها نقضت عهودها وعاهدت اخلاق ما كسبتها واعلمت ذراعها وأضعفت جيشها العادت البلاد الحياة الى رونق ونبلاً من ذاته فيشر صارت تذكر اسم الله ثم جاء دور الرومة والله والقديسين والشاعرين ورجال الحرب والسياسة من ايطاليا . وتراجع

عمران رومية للمرة الثانية بما حدث من القوائل بين البابا والامبراطور حتى اذا كانت الثورة الفرنسوية انتفضت ايطاليا كما انتفض العصفور بلله القطر . وفي اواسط القرن التاسع عشر نشأت تلك الثورة الوطنية التي كان من نتائجها وصول ايطاليا الى ما وصلت اليه . كانت ايطاليا منذ ستين سنة منقسمة الى ممالك حقيرة كلجم عمّي وهم من مقاطعة صقلية الى رومان الى اميليا الى طوسكانيا الى بيمون ومن كان يرجو ان بدأ صناع تقدر على جمع هذه الاجزاء المتفرقة لتوحيدها وارجاعها الى الحياة وكم من ايطالي عظيم مات وهو يفكر في هذا الامر الجليل ويرسم هذه الخطة العجيبة

ولقد تهيأ لايطاليا مثل غاريبالدي الذي قاد فتيانها وماريني الذي كانت حظوته من الشعب سلاحاً اقوى من كل سلاح وكافور رجل السياسة الذي احيا الزراعة كما انشأ الجيش واقام لعصاب العدل والحق كما فاوض اوربا لجعل ايطاليا وطناً

وهكذا بني بناء الوحدة الايطالية بسرعة ومواد متينة على ارض لا تتزعزع فتوطدت دعائم هذا البناء منذ خمسين سنة وعادت رومية عاصمة ايطاليا الجديدة وميلان وتورين وفاق في مدن العمل النافع الرافع . ولا يدهشك ان ترى في ايطاليا وجهين هما ولا مراء ثغران تنبعث منهما الحياة القوية فايطاليا مملوءة بماض وهي كذلك في المستقبل ترى فيها بقايا العاديات كما تجد فيها المجددات والمبتدعات وان ارواح عظماء رجالها المفتنين امثال ميشل آنج وليوناردي فنسي لتسر بما ترى الآن من معامل لومبارديا المائية الكهربائية العجيبة والمناطيد الطيارة السابحة في الفضاء . كم من آمال تحققت في ايطاليا ففيها ارادت مملكة القياصرة ثم البابوية ان تلقي السلام في العالم وفيها نشأت الخطط الشريفة في الانية الاجتماعية والالهامات الصناعية العجيبة وكل ما ينهض بالامم ويعلي مقامها قد بدأ في صور بديعة لطيفة فايطاليا من ثم معمل الكمال والخيال

المتعدون والصناعة

في كل مجتمع افراد مصابون بعاهات تمنعهم عن تعاطي كثير من الاعمال فما هي الوسائل التي يجب على المجتمع ان يتوسم بها نحوهم ؟ يجيب الانسان لاول وهلة انه يجب عليه ان يعلمهم حرفة يحترفون بها وهذا ما قامت به المدرسة الخيرية في مدينة نيويورك من المساعدة للانتفاع من المقعدين فقد رأت بعد البحث العميق ان صنعة الصياغة اوفق ما يكون لهؤلاء المنكودي الحظ لاسباب اهمها ان هذه الحرفة لا تتطلب كثيراً القوة الجسدية وفي استطاعة الصانع ان يعمل طول النهار دون ان يضطر الى الوقوف وطلب

صناع ماهرين في هذه الصنعة متواصل ولا يخشى عليها من غيرات المهاجرين الاغراب فيفسدوها على اهلها كما افسدوا كثيراً من الصناعات البسيطة اذ هذه الحرفة تحتاج الى مهارة لا تتأتى الا بصرف وقت غير قصير في تعلمها. فلهذه الغاية انشأت تلك المدرسة صفاً للمتعلمين يتعلمون فيه هذه الحرفة تحت رعاية صناع ماهرين وهم الآن يتعلمون ما يدفع اليهم من العقود والمجوهرات المثمرة بالاجرة عدا عما يصنعونه ويبيعونه على حسابهم والمدرسة ستجد لهم محالاً في العامل متى اتموا تعليمهم.

نادي السجناء

كثير من الاحداث الذين يدخلون السجون لجرائم ارتكبوها ثم يخرجون منها عازمين على ان يكونوا مستقيمين في مسلكهم ولكنهم لا يجدون عملاً سالماً خروجهم يشهد لهم منه ما يقوم باودهم اذ الناس تحجم عن استخدامهم لعدم الثقة بهم فيجبرون على ارتكاب جرائم اخرى فيلقى القبض عليهم ويزجون في اعماق السجون. فلهذه العلة امثال هؤلاء الاحداث أسس في بركلن احد احياء مدينة نيويورك نادٍ يأوون اليه ريثما يحصل الواحد منهم على عمل يقتات منه فعندها يترك النادي. والآن يوجد كثير ممن ساعدهم هذا النادي يقومون باعمال مفيدة وهم يدينون بما لهم من الوسائل

طهارة الفم

قال احد الاساتذة المعاصرين حقق لي طهارة الفم الذي يتناوله الطفل أوكد ثبات سلامته. وما زال علماء العالم منذ امد بعيد يبحثون عن الوسائل لحفظ الفم من الجراثيم المتعددة الانواع التي تضر صحة الانسان فضلاً عن الاطفال فلهذه الغاية اخترع وعاء مؤلف من وعائين الواحد ضمن الآخر الاول من المعدن والثاني من الخشب وبينهما فسحة لوضع الجليد لكي يحفظ اللبن رطباً والوعاء محكمان بمر من الوعاء الداخلي انبوب يفرغ الى وعاء آخر خارج الاثنين ذو ثمر كل ثمرة تشير الى كذا من الوزن فلا يتكلف البائع الا فتح انبوب يفرغ الى الوعاء المعد ويضع فيه قدر ما يطلب الزبون ثم يغلق ويفتح انبوباً آخر يفضي الى ابريق الزبون فبهذه الواسطة يكون قد حفظ اللبن من الفساد بالحر ولم يدخل اليه شيء من الجراثيم وقت المناولة

الراحة في السفر

قد فتح حديثاً في مدينة بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية نزل يسع ٣٢٠٠ نزيل وهو نزل حسن البناء والفرش ذو طابقين وفيه ادارة خصوصية لبيع تذاكر السفر في

السكك الحديدية فالنازل فيه لا يحتاج الى الخروج منه اذا كان يريد السفر في داخل البلاد لاتباع البطاقة وشحن اثقاله

اصلاح زي المرأة

اهمل النساء في ملابسهن مقتضيات الصحة وراعين شروط الجمال فعمدن الى المشد الذي غايته الحصر وبروز الصدر وارتدين برودآ لا تدفع تأثيرات الطقس الى غير ذلك مما انهك الاجساد واعدها لموادي الضعف والوهن والنساء لاعبات بالمظاهر الخلابة مما وراءها من التحول والسقم ولما استفحل شر هذا الداء تألفت في المانيا جمعية نسائية غرضها اصلاح الازياء على ما تقتضيه شروط الصحة وانضم اليها كثيرات من علية نساء المانيا واصدرن مجلة وضعن فيها رسوم الازياء الصحية ودعت الادبيات فيها الى خلع الازياء الجديدة وفي مقدمة اولئك الكاتبات ملكة رومانيا

وسرت الحركة الى فرنسا فاهتمت مجلاتها بهذا الاصلاح ونشرت فيه الفصول الضافية وحرضت الجمعيات النسائية في فرانسا على انشاء الشعب الجمعية الالمانية

وانتشرت هذه الفكرة في بلاد الانكليز فكانت المملكة اول من ابرزت الفكر الى حيز العمل فاصدرت منشوراً نساء الشرفاء صرحت فيه انها لا تقبل في البلاط الا من ارتدين باكمية واسعة عينتها لهن وانكرت الترف والمحافظة على نساء الاغنياء

وعسى ان تنهض نساء الشرق الى مجاراة اخواتهن في البلاد الراقية

السكر الآسيوي

يصطنعون في الشرق انواعاً من السكر غير معروفة في الغرب منها ما يصطنع في نيبون ويدعى سكر الرز ويسميه الاهلون ميزياه اي السكر السائل لانه غير جامد تماماً ولذلك لا يمكن تداوله في التجارة وانما يرسلون منه زجاجات محكمة السد تحتوي الواحدة منها من ٥٠٠ غرام تباع بنحو ثمانية غروش وتلك الزجاجات تحفظ السكر من الفساد ولكنها اذا استمرت مفتوحة عنيهة حثر السكر وتلفه طعمه والتجار يستعملونه لالصاق البلاقات وطوابع البريد ويصطنع الصينيون نوعاً آخر من الجاورس فيستخرجون عصارة النبات ويضعونها ايلماً في اوعية صغيرة معرضة لحرارة الشمس فتتبخر المياه ويرسب في قعر الوعاء مقدار من السكر ينشرونه على مائدة